□ علو الهمة في الصَّبْرِ □

« إنَّ اللهَ سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكْبُو ، وصارمًا لا ينبو ، وجندًا لا يُهزَم ، وحصنًا لا يُهدَم ، ولا يُثْلَم ، فهو والنصر أَخوان شقيقان ، وهو أنصرُ لصاحبه مِن الرجال بلا عُدَّة ولا عَدَدٍ ، ومحلُّه مِنَ الظَّفَر محلُّ الرأسِ مِنَ الجسد .

وللصابرين مَعِيَّةٌ مع الله ، ظفروا بها بخير الدنيا والآخرة ، وفازوا بها بنِعَمِهِ الظَّاهرة والباطنة ، وجعل اللهُ سبحانه الإمامة في الدين مَنُوطَةً بالصبر واليقين ؛ فقال تعالىٰ – وبقوْله اهتدىٰ المُهتَدُونَ – : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

قال ابن تيمية : إنما تُنَالُ الإمامةُ في الدين بالصبر واليقين .

وقال ابن عيينة : « لمَّا أخذوا برأس الأمر ، صارُوا رؤوسًا » .

وأخبرَ سبحانه أنَّ الصبر خيرٌ لأهلِهِ مؤكَّدًا باليمين ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصابِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] .

وأخبر عن محبَّته للصابرين ، ولقد بشَّر الصابرين بثلاثٍ ، كلٌّ منها خيرٌ ممَّا عليه أهل الدنيا يتحاسدون ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥ – ١٥٧] .

وأوصىٰ عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرةٌ إِلَّا عَلَىٰ الخاشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وَجَعَلَ الفوزَ بالجنةِ والنجاةَ مِنَ النَّارِ لا يحظَىٰ بِهِ إلَّا الصابرون ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١١١] .

وأخبر أنَّ الصبر والمغفرةَ من العزائم ، التي تجارةُ أربابها لا تَبُور ؛ فقال تَعَالَىٰ : ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [الشورىٰ : ٤٣] .

وفي الصحيح عن رسولنا ﷺ : « وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ مِن الصبر » . وأخبر ﷺ أنَّ الصبر ضياءٌ .

قال عمر رضي الله عنه : « أفضلُ عيشٍ أدركناه بالصبر ، ولو أنَّ الصبر كان من الرجال كان كريمًا » .

وقال عليُّ بنُ أبي طالب : الصبر مَطِيَّةٌ لا تَكْبُو .

وقال الحسن : الصبرُ كَنْز مِن كنوز الجنة ، لا يُعطيهِ اللهُ إلا لعبدٍ كريمٍ عنده .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً فانتزعَهَا منه فعاضه مكانها الصبر ، إلَّا كان ما عوَّضه خيرًا ممّا انتزعه .

وقال ميمون بن مهران : ما نال أحدٌ شيئًا مِن ختْم الخير فما دونه إلَّا الصبر .

وقال سليمان بن القاسم : كلّ عملٍ يُعرَف ثوابُه إلَّا الصبر ؛ قال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِساب** ﴾ ، قال : كالماء المُنْهمر »(١) .

---

(١) عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم صـ ٦٤ ، ٩٠ - ٩١ .

قال ابن القيم : « الإنسان منّا إذا غلب صبرُه باعِثَ الهوىٰ والشهوة ، الْتحَقَ بالملائكة ، وإن غلب باعِثُ الهوىٰ والشهوة صبرَه،الْتحق بالشياطين ، وإنْ غلب باعثُ طبْعه - من الأكل والشرب والجماع - صبرَه ، الْتحق بالبهائم . قال قتادة : خلَق الله سبحانه الملائكة عقولًا بلا شهوات ، وخلق البهائم شهواتٍ بلا عقول ، وخلق الإنسان وجعل له عقلًا وشهوة ، فمَن غلب عقلُه شهوَتَه فهو مع الملائكة ، ومن غلبتْ شهوتُه عقلَه فهو كالبهائم »(١) .

أنواع الصبر :

والصبر نوعان : اختياري واضطراري ، والاختياريُّ أكمل من الاضطراري ، أو صبرٌ على ما يتعلق بالكسب ، وصبرٌ على ما لا كسب للعبد فيه .

أو بلفظٍ آخر : هو على ثلاثة أنواع : صبرٌ على طاعة الله ، وصبر عن معصية الله ، وصبر على امتحان الله .

والصبر المتعلق بالتكليف - وهو الأمر والنهي - أفضل من الصبر علىٰ مجرَّد القَدَر ، فإنَّ هذا الصبر يأتي به البَرُّ والفاجر ، والمؤمن والكافر ، فلا بدّ لكلّ أحدٍ من الصبر على القَدَر اختيارًا أو اضطرارًا .

فأما الصبر على الأوامر والنواهي - الصبرُ عن المعصية والصبر علىٰ الطاعة - فهو صبرُ أتْباعِ الرُّسل ، وأعظمهم اتّباعًا أَصبرُهم في ذلك .

والصبر على الاضطراري - وهو الصبر على الامتحان والقَدَر - مع عِظَم جزائه فهو أقلُّ رتبةً من الصبر عن المعصية .

قال ابن تيمية - قدَّس اللهُ روحه -: « كان صبرُ يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكملَ من صبره على إلْقاءِ إخوته له في الجُبِّ ،

(١) عدة الصابرين صـ ١٨ .

وبيْعه ، وتفريقهم بينه وبين أبيه ؛ فإنَّ هذه أمورٌ جرتْ عليه بغير اختياره ، لا كسبَ له فيها ، ليس للعبد فيها حِيلةٌ غير الصبر ، وأمَّا صبره عن المعصية : فصبر اختيار ، ومحاربةٌ للنفس »[١] .

قال ابن القيم في المدارج (٢ / ١٦٩) : « الصبر على طاعته ، والصبر عن معصيته أكمل من الصبر على أقداره ؛ فإنَّ الصبر فيها صبر اختيارٍ وإيثارٍ ومحبّة ، والصبر على أحكامه الكونية صبرُ ضرورة ، وبينهما مِن البَوْن ما قد عرَفتَ . وكذلك كان صبر نوحٍ وإبراهيمَ وموسىٰ وعيسىٰ عليهم الصلاة والسلام ، على ما نالهم في الله ، باختيارهم وفعْلهم ومقاومتهم قَوْمَهم - أكملَ من صَبْرِ أيوب علىٰ ما ناله في الله ، من ابتلائه وامتحانه بما ليس مُسَبَّبًا عن فعْله .

وكذلك كان صبر إسماعيل الذَّبيح ، وصبر أبيه إبراهيم عليهما السلام على تنفيذ أمر اللهِ - أكملَ من صبرِ يعقوب على فَقْدِ يوسف » .

وكان ابن تيمية رحمه الله يقول : « الصبر على أداءِ الطاعات أكملُ من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل ؛ فإنَّ مصلحة فعْل الطاعة أحبُّ إلى الشارع من مصلحة ترْك المعصية ، ومفسدة عدْم الطاعةِ أبْغَضُ إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية »[٢] .

وهو أيضًا علىٰ ثلاثةِ أنواع : صبرٌ بالله ، وصبر لله ، وصبر مع الله :

فالأول : الاستعانة به ، ورؤيته أنَّه هو المصبِّر ، وأنَّ صبرَ العبد بربِّه لا بنفسه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلَّا باللهِ** ﴾ [النحل : ١٢٧] .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٥٦ .
(٢) المدارج ٢ / ١٥٧ .

والصبر بالله : بقاء ؛ لأنَّ العبد إذا كان بالله هان عليه كلُّ شيءٍ ، ويتحمَّل الأثقال ولم يجدْ لها حِمْلًا ؛ فإنه إذا كان بالله لا بالخلق ولا بنفسه ، كان لقلبهِ وروحه وجودٌ آخر وشأن آخر ، غير شأنه إذا كان بنفسه وبالخلق ، وبهذا الحال لا يجد عَناء الصبر ولا مرارته ، وتنقلب مشاقُّ التكليف له نعيمًا وقُرَّةَ عين ، كما قال ثابت البناني : « عالجتُ قيامَ الليل عشرين سنةً ، وتنعَّمتُ به عشرين سنة » . ومن كانت قرة عينه في الصلاة لم يجدْ لها مشقَّة وكُلْفَةً .

والثاني : الصبر لله : وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبَّة الله ، وإرادة وجهه ، والتقرُّب إليه ، لا لإظهار قوة النفس ، والاستحماد إلى الخلْق ، وغير ذلك من الأعراض .

« والصبر لله فوقَ الصبر بالله ، وأعلى درجةً منه وأجلّ ؛ فإنَّ الصبرَ للهِ متعلّق بإلـٰهيَّته ، والصبر به متعلِّق بربوبيَّته ، وما تعلَّق بإلـٰهيته أكملُ وأعلىٰ ممَّا تعلق بربوبيّته . ولأنَّ الصبرَ له : عبادةٌ ، والصبرَ به : استعانةٌ ، والعبادة : غايةٌ ، والاستعانة : وسيلة ، والغاية : مُرَادَةٌ لنفسها . ولأنّ الصبرَ له : صبرٌ فيما هو حقٌّ له ، محبوبٌ له مَرْضِيٌّ له ، والصبر به قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوطٌ له ، وقد يكون في مكروه أو مباح،فأين هذا مِن هذا ؟! » .

والثالث : الصبر مع الله : وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه ، ومع أحكامه الدينية ، صابرًا نفسه معها ، سائرًا بسيْرها ، مُقيمًا بإقامتها ، يتوجَّه معها أين توجَّهت ركائبها ، وينزل معها أين استقلَّتْ مضاربُها ، فهو قد جعل نفسه وقْفًا على أوامره ومحابِّه . وهذا أشدُّ أنواعِ الصبر وأصعبها ، وهو صبر الصِّدِّيقين .

قال الجنيد : « السَّيْر من الدنيا إلى الآخرة سَهْلٌ هَيِّن على المؤمن ، وَهُجْران الخلْق في جنْبِ الله شديد ، والمسير من النفس إلى الله صَعْبٌ شديد ، والصبر مع الله أشدُّ » .

والصبر مع الله وفاء ، لا يُزيغ القلبَ عن الإنابة ، ولا الجوارحَ عن الطاعة ، فتُعْطَى المعية حقّها مِن التوفية ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإبراهيمَ الذي وَفَّىٰ** ﴾ [النجم : ٣٧] ، أي وَفَّىٰ ما أُمر به ، بصبْره مع الله علىٰ أوامره .

مَـرَاتِبُ الصـبر :

قال ابن القيم في المدارج (٢ / ١٦٩ - ١٧٠) : « المراتب أربعة :

إحداها : مرتبة الكمال : وهي مرتبة أُولي العزائم ، وهي الصبر لله وبالله . فيكون في صبره مبتغيًا وجهَ الله صابرًا به ، متبرِّئًا مِن حوْله وقوّته . فهذا أقوىٰ المراتبِ وأرفعُها وأفضلها .

الثانية : أنْ لا يكون فيه لا هذا ولا هذا . فهو أَخسُّ المراتب ، وأردأُ الخلق ، فهو جديرٌ بكلِّ خُذْلانٍ وبكلِّ حِرْمَانٍ .

الثالثة : مرتبة مَن فيه صبرٌ بالله ، وهو مستعينٌ متوكِّل على حوْله وقوّته ، ولكنّ صبره ليس لله ، إذْ ليس صبرُه فيما هو مراد الله الديني منه ، فهذا يُنال مطلوبُه ، ولكن لا عاقبة له ، وربما كانت عاقبتُه شرَّ العواقب ، وفي هذا المقام خفراء الكفار وأربابُ الأحوال الشيطانية ؛ فإنَّ صبرهم بالله ، لا لله ، ولا في الله .

الرابعة : مَن فيه صبرٌ لله ، لكنَّه ضعيفُ النصيب من الصبر به ، والتوكُّل عليه ، والثقة به ، فهذا له عاقبة حميدة ، ولكنه ضعيفٌ عاجزٌ مخذولٌ في كثيرٍ مِن مطالبه ، لضعـفِ نصيبه مِن ﴿ **إيَّاكَ نعبُدُ وإيَّاكَ نستعينُ** ﴾ ، فنصيبُه مِن الله أقوىٰ مِن نصيبه بالله ، فهذا حالُ المؤمن الضعيف .

صابرٌ بالله ؛ لا لله : حال الفاجر القويّ ، وصابرٌ لله وبالله : حال المؤمن القوي ، والمؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف . فصابِرٌ لله وبالله : عزيزٌ حميد ، ومَن ليس لله ولا بالله مذمومٌ مخذول ، ومن هو بالله ، لا لله : قادرٌ مذموم ، ومَن هو لله لا بالله عاجزٌ محمود » .

الصَّبر علىٰ البَلاء :

الصبر علىٰ البلاءِ بضاعة الصِّدِّيقين ؛ فإنَّ ذلك شديدٌ على النفس ، ولذلك قال ﷺ : « أسألك مِن اليقين ما تُهوِّن عليَّ به مصائب الدنيا »[1]. فهذا صبر مستندُه حُسْن اليقين .

والصبر من آكَدِ المنازل في طريق المحبة وألزمها للمحبِّين ، وهم أحوج إلى منزلته من كلِّ منزلة ، وهو مِن أعرف المنازل في طريق التوحيد وأبْيَنِهَا . وبهذا الصبر يُعْلَم صحيحُ المحبَّة من معلولها ، وصادقُها من كاذِبها ؛ فإنَّ بقوة الصبر على المكاره في مراد المحبوب يُعلم صحةُ محبّته .

ومن هاهنا كانت محبَّة أكثر الناس كاذبة ؛ لأنّهم كلهم ادّعوْا محبة الله تعالىٰ ، فحين امتحنهم بالمكاره انخلعوا عن حقيقة المحبة ، ولم يثبت معه إلَّا الصابرون ، فلولا تحمُّل المشاقّ ، وتجشُّم المكاره بالصبر ، لَمَا ثبتَتْ صحة محبتهم ، وقد تبيَّن بذلك أنَّ أعظمهم محبَّةً أشدُّهم صبرًا .

ولهذا وصف الله تعالىٰ بالصبر خاصة أوليائِه وأحبابه ، فقال عن حبيبه أيُّوب : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا** ﴾ ثمَّ أثنىٰ عليه فقال : ﴿ **نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [صٓ : ٤٤] ، فصلَّى اللهُ على نبيّه أيُّوب ، فكمْ كانَ صبرُه حتى

(١) جزءٌ من حديث أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وصحّحه من حديث ابن عمر ، وحسّنه الترمذي .

ضُرب به المثل ، وكم كان أدبه في صبره إذْ قال تعالىٰ : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الراحمين** ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، فقال : مسَّني ، ولم يقلْ : هَدَّني .

قال رسول الله ﷺ : « أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ، ثم الصالحون ؛ لقد كان أَحدُهم يُبتلىٰ بالفقر حتَّى ما يجدُ إلا العباءة ، يجوبها[1] ، فيلبسها ، ويُبتلىٰ بالقمْلِ حتىٰ يقتله ، وَلَأَحدُهم كان أشدَّ فرحًا بالبلاءِ من أحدكم بالعطاء »[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « لَيودَّنَّ أهلُ العافية يوم القيامة أنَّ جلودَهم قُرِضَتْ بالمقاريض ، ممَّا يَرَوْنَ من ثواب أهل البلاء »[3] .

المرأة السَّوْداء التي كانت تصْرَع :

« عن عطاء : قال لي ابن عباسٍ : أَلَا أُريك امرأةً من أهل الجنة ؟! هذه المرأة السوداء ، أتتْ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له : يا رسول الله ، إني أُصرع ، فادْعُ اللهَ لي . فقال : « إنْ شئْتِ ، صبرتِ ولكِ الجنة ، وإنْ شئْتِ ، دعوتُ الله أنْ يعافيكِ » . فقالت : أصبر . ثم قالت : يا رسول الله ، إني أتكشَّفُ فادعُ الله لي أن لا أتكشَّف . فدعا لها » . فرضي اللهُ عنها ، صبرتْ على الصَّرْعِ ونالت الجنة ، فما أعقلها وما أصبَرَها !!

---

(١) أي : يقطع وسطها ليلبسها .

(٢) صحيح ، رواه ابن ماجه وأبو يعلى في مسنده ، والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد ، وكذا رواه ابن سعد ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٣١ .

(٣) حسن ، رواه الترمذي والضياء عن جابرٍ ، ورواه الخطيب وابن عساكر ، والطبراني في الكبير عن ابن عباس ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٤٨٤ ، والصحيحة ٢٢٠٦ .

الأحْنف بن قيْس :

« قال مغيرة : ذهبتْ عيْنُ الأحْنف ، فقال : ذهبتْ من أربعين سنة ، ما شكوتُها إلى أحد »[١]. فَرَضِيَ اللهُ عن سيّد أهلِ المشرق ... لسانُ حاله يقول :

وَإِذَا شَكَوتَ إلى ابنِ آدَمَ إنَّمَا ... تشكُو الرحيمَ إلى الذي لا يرحمُكْ

قال ابن تيمية : « الصبر الجميلُ هو الذي لا شكوىٰ فيهِ ولا مَعَهُ » .

عروة بن الزبير :

قال ابن القيم : « قَدِمَ عروة بن الزبير علىٰ الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد ، وكان من أحسن الناس وجهًا ، فدخل يومًا على الوليد في ثيابِ وشي ، وله غديرتان وهو يضرب بيده ، فقال الوليد : هكذا تكون فتيان قريش . فعانه[٢] ، فخرج من عنده متوسّنًا ، فوقع في إصطبل الدوابِّ ، فلم تزل الدوابُّ تطؤه بأرجلها حتىٰ مات ، ثم إنَّ الأكلة وقعتْ في رِجْل عروة ، فبعث إليه الوليدُ الأطباء ، فقالوا : إنْ لم تقطعْها ، سَرَتْ إلى باقي الجسد فتهلك . فعزم على قطْعها ، فنشروها بالمنشار ، فلمَّا صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة ، فَغُشِيَ عليه ، ثم أفاق والعَرَق يتحدَّر على وجهه وهو يهلِّل ويكبّر ، فأخذها وجعل يقبِّلها في يده ، ثم قال : أمَا والذي حَمَلني عليكِ ، إنه لَيَعلم أني ما مَشَيْتُ بكِ إلى حرام ، ولا إلى معصية ، ولا إلى ما لا يُرضي اللهَ . ثم أمر بها ، فغسِّلَتْ وطيِّبتْ وكُفِّنت في قطيفة ، ثم بُعِثَ بها إلى مقابر المسلمين ، فلمّا قدِم مِن عند الوليد المدينة ، تلقّاهُ أهلُ بيته وأصدقاؤه يُعزّونه ، فجعل يقول : ﴿ **لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا**

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٩٢ .
(٢) أي : أصابه بعينه ، حسَده .

هذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف : ٦٢] ، ولم يزدْ عليه .

قال ابن القيم : ولمّا أرادُوا قطع رجله ، قالوا له : لو سَقَيْنَاك شيئًا كي لا تشعر بالوجع . فقال : إنما ابتلاني لِيَرىٰ صبري ، أفأعارض أمرَه ؟! »[١] .

إنْ سلبتَ فلَطالما أعطيتَ ، وإنْ أخذتَ فطالما أبقيتَ ، وأبقيتَ لنا فيكَ الأملَ ، يا بَرُّ يا وَصُول .

وأصيبَ (**مُطَرِّف بنُ عبد الله**) في ابنٍ له ، فأتاه قومٌ يُعَزُّونه ، فخرج إليهم أحسن ما كان بِشْرًا ، ثم قال : « إنِّي لأَسْتحيي من الله أنْ أتضعضعَ لمصيبةٍ »[٢] .

وكان الإمام أحمد يَئِنُّ في مرضه ، فلمّا أخبروه أنَّ طاووسًا يقول : إنَّ أنينَ المريض شكوىٰ ، فما أنَّ حتى مات ، رحمه الله .

الإمامُ إبراهيم الحربيّ وصَبْرُه علىٰ الجوعِ والفقر :

قال رحمه الله : « قميصي أَنْظَفُ قميصٍ ، وإزاري أوسَخُ إزارٍ ، ما حدّثتُ نفسي أنهما يستويانِ قطُّ ، وفردُ عقبي[٣] صحيح والآخر مقطوع ، ولا أحدّث نفسي أنْ أصلحَهما ، ولا شكوتُ إلى أهلي وأقاربي حُمَّىٰ أجدها ، لا يغمُّ الرجل نفسه وعياله ، ولي عشرُ سنين أُبصر بِفَرْدِ عَيْنٍ ، ما أخبرتُ به أحدًا ، وأفنيتُ من عُمري ثلاثين سنة برغيفَيْن ، إنْ جَاءَتْني بهما أُمّي أو أختي ، وإلَّا بقيتُ جائعًا إلى الليلة الثانية ، وأفنيتُ ثلاثين سنةً برغيفٍ في اليوم والليلة ، إنْ جاءتني امرأتي أو بناتي به ، وإلَّا بقيتُ جائعًا ، والآنَ

(١) عُدَّة الصابرين صـ ٩١ - ٩٢ .
(٢) عُدَّة الصابرين صـ ٩٤ .
(٣) العقب هنا : النعل على سبيلِ المجاز .

آكُل نصف رغيف وأربعَ عشرة تمرةً ، وقام إفطاري في رمضان هذا بدرهم ودانِقَيْن ونصف » .

وقال رحمه الله : « ما كنا نعرف من هذه الأطْبخةِ شيئًا ، كنتُ أجيءُ من عَشي إلى عَشي ، وقد هيَّأت لي أُمّي باذنجانة مشويَّة ، أو لَعْقة بِنٍّ[1] ، أو باقة فجْل »[2] .

للهِ دَرُّه ... جوعٌ قليل وعُري قليل ، ثم بعد ذلك الجنة !!

ما ضرهم ما أصابهم ... جَبَرَ اللهُ لهم بالجنةِ كلَّ مصيبة .

أبو قَلابَةَ الإمامُ صاحبُ ابنِ عبَّاسٍ وَصَبْرُهُ الجَميل :

« قال أيُّوب السختياني - وذكر أبا قلابة - : كان - والله - من الفقهاء ذوي الألباب ، إني وجدتُ أعلم الناس بالقضاء أشدَّهم منه فرارًا ، وأشدَّهم منه فَرَقًا ، وما أدركتُ بهذا المِصر أعلمَ بالقضاء من أبي قلابة .

وعن مسلم بن يَسَار قال : لو كان أبو قلابة مِن العَجَم ، لَكَان مَوبَذ موبذان . يعني : قاضي القضاة .

يُروى أنَّ أبا قلابة عَطِشَ وهو صائم ، فأكرمه اللهُ لمّا دعا ، بأن ظلّلته سحابة وأمطرتْ على جسده ، فذهبَ عطشُه »[3] .

قال الذهبي في السير : « إنَّ أبا قلابة ممَّن ابْتُلِيَ في بدنه ودينه ، أُرِيدَ على القضاء ، فهرب إلى الشام ، فمات بعريض مصر سنة أربع ، وقد ذهبتْ يداه ورجلاه وبصرُه ، وهو مع ذلك حامدٌ ....

(١) البن : الطبقة مِن الشحم .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٦٧ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٦٨ - ٤٧٥ .

شَـاكِرٌ »[١].

وقد روى ابن حبان قصة صبره الكريم الجميل النبيل : قال ابن حبان : « حدَّثني بقصَّةِ موتهِ محمدُ بن المنذر بن سعيد ، قال : ثني يعقوب بن إسحاق بن الجراح ، قال : ثني الفضل بن عيسىٰ ، عن بَقيَّة بن الوليد ، حدثني الأوزاعي ، عن عبد الله بن محمد ، قال : خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا وكان رابطُنا يومئذ عريش مصر . قال : فلمّا انتهيتُ إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة ، وفي البطيحة خيمة ، فيها رجل قد ذهبَ يداه ورجلاه ، وَثَقُل سمْعه وبصره ، وما له من جارحةٍ تنفعه إلَّا لسانه ، وهو يقول : « اللهمَّ أَوْزِعني أن أحمدك حمدًا ، أكافئ به شكرَ نعمتك التي أنعمتَ بها عليَّ ، وفضَّلتني على كثيرٍ ممّن خلقتَ تفضيلًا » . قال الأوزاعي : قال عبد الله : قلتُ : واللهِ لآتينَّ هذا الرجل ، وَلَأَسألنَّه أنّى له هذا الكلام ، فَهْمٌ أمْ عِلمٌ أم إلْهامٌ أُلهِمَ ؟ فأتيتُ الرجل فسلّمتُ عليه ، فقلت : سمعتُك وأنت تقول : « اللهم ..... تفضيلًا » ، فأيّ نعمة مِن نِعَم الله عليك تحمده عليها ، وأيُّ فضيلةٍ تفضّلَ بها عليك تشكرُه عليها ؟ قال : وما ترىٰ ما صنع ربّي ؟! واللهِ لو أرسـل السمـاء عليَّ نارًا فأحرقتْـني ، وأمر الجبال فدمَّرتْني ، وأمر البحار فأغرقتني ، وأمر الأرض فبلعتني ، ما ازددتُ لِربّي إلَّا شكرًا ، لِمَا أنعم عليّ من لساني هذا ، ولكن يا عبد الله إذْ أتيتني ، لي إليك حاجة ، قد تراني على أيّ حالة أنا ، أنا لستُ أقدر لنفسي علىٰ ضُـرٍّ ولا نفْع ، ولقـد كان معي بنيٌّ لي يتعاهدني في وقت صـلاتي ، فيوضّيني ، وإذا جعتُ أطعمني ، وإذا عطشتُ سقاني ، ولقد فقدتُه منذ ثلاثة أيام ، فتحسَّسْه لي رحمك الله . فقلتُ : واللهِ ما مشىٰ خلقٌ في حاجةِ

(١) السير ٤ / ٤٧٥ .

خلقٍ ، كان أعظم عند الله أجرًا ممَّن يمشي في حاجةِ مثلك . فمضيتُ في طلب الغلام ، فما مضيتُ غيرَ بعيدٍ ، حتى صرتُ بين كثبان من الرمل ، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سَبعٌ وأكل لحْمه ، فاسترجعْتُ وقلت : أنَّىٰ لي وجْهٌ رقيقٌ آتي به الرجل ؟! فبينما أنا مُقْبل نحوه ، إذْ خطر علىٰ قلبي ذكْرُ أيُّوب النبي ﷺ ، فلمَّا أتيتهُ سلَّمتُ عليه ، فردّ عليَّ السلام ، فقال : ألستَ بصاحبي ؟ قلت : بلىٰ . قال : ما فعلتَ في حاجتي ؟ فقلت : أنت أكرمُ على الله أمْ أيُّوبُ النبي ؟ قال : بل أيُّوب النبي . قلت : هل علمتَ ما صنع به ربُّه ؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده ؟ قال : بلىٰ . قلتُ : فكيف وَجَدَه ؟ قال : وجده صابرًا شاكرًا حامدًا . قلتُ : لمْ يَرضَ منه ذلك حتىٰ أوحشَ مِن أقربائه وأحبّائه ؟ قال : نعم . قلت : فكيف وجدَه ربُّه ؟ قال : وجدَه صابرًا شاكرًا حامدًا . قلتُ : فلمْ يَرْضَ منه بذلك حتىٰ صيّره عَرَضًا لمارّ الطريق ، هل علمتَ ؟ قال : نعم . قلتُ : فكيف وجدَه ربُّه ؟ قال : صابرًا شاكرًا حامدًا ، أوجِزْ رحمك الله . قلتُ له : إنَّ الغلام الذي أرسلتني في طَلَبه وجدتُه بين كثبان الرمل ، وقد افترسه سبعٌ فأكل لحمه ، فأعظم اللهُ لكَ الأجرَ وألهمَك الصبر . فقال المبتلىٰ : الحمد لله الذي لم يخلقْ من ذرِّيتي خلقًا يعصيه ، فيعذِّبه بالنار . ثم استرجَعَ ، وشَهِقَ شهقةً فمات ، فقلتُ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، عظُمت مصيبتي ، رجلٌ مثل هذا إنْ تركتُه أكلَتْهُ السباع ، وإنْ قعدتُ ، لم أقدر على ضرٍّ ولا نفْع . فسجَّيْتُه بشمْلةٍ كانتَ عليّ ، وقعدتُ عند رأسه باكيًا ، فبينما أنا قاعدٌ إذْ تهجَّم عليّ أربعة رجال ، فقالوا : يا عبدَ الله ، ما حالك ؟ وما قصَّتُك ؟ فقصصْتُ عليهم قصَّتي وقصَّته ، فقالوا لي : اكشفْ لنا عن وجهِهِ ، فعسىٰ أنْ نعرفه . فكشفتُ عن وجهه ، فانكبَّ القوم عليه ، يقبِّلون عينيْه مرةً ، ويديْه أُخرىٰ ، ويقول : بأبي عَيْنٌ طالما غُضّتْ عن محارم الله ، وبأبي جِسْمٌ طالَمَا كان

ساجدًا والناس نِيَام . فقلتُ : مَن هذا يرحمكم الله ؟ فقالوا : هذا أبو قلابة الجرمي ، صاحب ابن عباس ، لقد كان شديدَ الحبِّ لله وللنبيّ ﷺ . فغسَّلناه وكفّنّاه بأثواب كانت معنا ، وصلَّينا عليه ودفنّاه . فانصرف القوم وانصرفتُ إلى رباطي ، فلمّا أنْ جَنَّ عليّ الليلُ ، وضعت رأسي ، فرأيتُه فيما يَرَىٰ النائم في روضةٍ من رياض الجنة ، وعليه حُلَّتانِ من حُلَل الجنة ، وهو يتلُو الوحي : ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [الرعد : ٢٤] ، فقلتُ : ألستَ بصاحبي ؟ قال : بلىٰ . قلتُ : أَنَّىٰ لك هذا ؟ قال : إنَّ للهِ درجاتٍ لا تُنالُ إلَّا بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرَّخاء ، مع خشية الله عز وجل في السرِّ والعلانية »[١] .

وهذه همّة إمامٍ تستمطرُ الدمع ... لسانُ حالِهِ يقول : « إذا علمتَ أنَّ لُطْفَ اللطيف لا ينفكُّ عنه أبدًا ، وأنَّ اللطيف لطيفٌ على الدَّوَام ، صار المنع عَيْنَ العطاء » .

صَبْرُ امرأةٍ تَفْضُلُ مَلايينَ الرِّجالِ :

« هذه زوجة فتْحٍ المَوْصلي ، انقطعتْ إصبعها ، فضحكتْ ، فقال لها بعض مَن معها : أتضحكين ، وقد انقطع إصبعك ؟! فقالت : أخاطبك على قدْر عقلك ، حلاوة أجْرِها أنستْني مرارةَ قطْعها » .

قال ابن القيم : « إشارةً إلى أنَّ عقله لا يحتمل ما فوق هذا المقام ، مِن ملاحظة المبتلي ، ومشاهدة حسْن اختياره لها في ذلك البلاء ، وتلذُّذها بالشكر له والرضا عنه ، ومقابلة ما جاء من قِبَله بالحمد والشكر ، كما قيل :

لَئِنْ سَاءَنِي أنْ نِلتَني بمساءَةٍ فقدْ سرَّني أنّي خطرتُ ببالِكَا »[٢]

(١) « الثقات » لابن حبان ٥ / ٢ - ٥ .
(٢) مدارج السالكين ٢ / ١٦٧ - ١٦٨ .

لله دَرُّهَا مِن عابدةٍ وَلِيَّةٍ تقيَّة !! وكيف لا ، وهي زوجة فتْحٍ الموصليّ ، وليّ مِن كبار أولياء هذه الأمة ؟!

قال أبو بكر المروزي : « ذكرتُ لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل - الفضل وعرْيه ، وفتح الموصلي وعرْيه وصبره ، فتغَرْغَرَتْ عينه ، وقال : رحمهم الله ، كان يُقال : عند ذكْر الصالحين ، تنزل الرحمة »[١].

وزوجُهَا صبرُهُ يَفُوقُ الخَيَال :

قال إبراهيم بن عبد الله : « صدع فتح الموصلي ، فقال : يا ربِّ ، ابتليتني ببلاءِ الأنبياء ، فشُكْرُ هذا أنْ أصلي الليلة أربعمائة ركعة »[٢].

وقال بشر بن الحارث : « بلغني أنّ بِنتًا لفتْح الموصلي عَرِيت ، فقيل له : ألا تطلب مَن يكسوها ؟ فقال : لا ، أدعها حتى يرىٰ الله عز وجلّ عُرْيها وصبري عليها . قال : وكان إذا كان ليالي الشتاء ، جمع عياله وقام بكسائه عليهم ، ثم قال : اللهمَّ أفقرتني وأفقرت عيالي ، وجوّعتَني وجوّعتَ عيالي ، وأعريتَني وأعريتَ عيالي ، بأيِّ وسيلةٍ توسلتُها إليك ، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابِك ، فهل أنا منهم حتى أفرح ؟ »[٣].

واللهِ لَأَخْبَارُ فَتْحٍ وزوجه أعطرُ من أريجِ الزهور .. بل بطيبها تطيبُ المجالس !

إبراهيمُ بنُ أدهمَ أستاذُ الشيوخ ، وصبرُه العجيب :

أمّا إبراهيم بن أدهم ... فهو لا يجارىٰ ولا يبارىٰ ..

عن حذيفة المرعشيّ قال : دخلنا مكة مع إبراهيم بن أدهم ، فإذا

---

(١) « الورع » لأحمد صـ ٤٦ .
(٣،٢) الحلية ٨ / ٢٩٢ .

شقيق البلخيّ قد حجَّ في تلك السنة ، فاجتمعنا في شقّ الطواف ، فقال إبراهيم لشقيق : علىٰ أيّ شيءٍ أصّلْتم أصلكم ؟ قال : أصّلْنا أصلنا علىٰ أنّا إذا رُزقنا أكلنا ، وإذا مُنِعْنَا صبرنا . فقال إبراهيم : هكذا تفعل كلابُ « بلخ » . فقال له شقيق : فعلىٰ ماذا أصّلتم ؟ قال : أصّلنا علىٰ أنّا إذا رزقنا آثرنا ، وإذا مُنعنا شكرنا وحمدنا . فقام شقيق فجلس بين يدي إبراهيم ، فقال : يا أستاذ ، أنت أستاذنُا »[1]... وفي رواية : « إنَّا قومٌ نصبر عند الرخاء ، ونشكر عند البلاء » .

لله دَرُّه ، فهذا واللهِ صبر الملوك !! وله أسوة ؛ فقد قال رسولنا ﷺ : « وَلأَحَدُهم كان أشدَّ فرحًا بالبلاءِ من أحدِكم بالعطاء » ... لا يتمنّىٰ البلاء ، فإن نزل به فَرِحَ ... لله دَرُّه ... أما قال ذلك عبد الرحمٰن بن عوف : « ابْتُلِينَا بالضراء فصبرنا ، وابتُلينا بالسرَّاء فلم نصبر »[2] .

لله دَرُّ امرأةِ فَتْح !! لله دَرُّ فتْح الموصلي زوجها !! لله دَرُّ أستاذ الشيوخ الكبار إبراهيم بن أدهم !! وما أعطر ذوقه السَّنّي !!

شربنا شرابًا طَيِّبًا عندَ طيِّبِ ... كذاك شرابُ الطَّيِّبينَ يَطِيبُ
شربنا وأَهْرقنا على الأرضِ فَضْلَهُ ... وَللأَرْضِ مِنْ كأسِ الكرامِ نَصِيبُ

يقول الهروي في درجات الصبر : « الدرجة الثالثة : الصبر في البلاء ، بملاحظة حسْن الجزاء ، وانتظار روح الفرج ، وتهوين البليّة بِعَدِّ أَيَادِي المِنَن ، وبذكْر سوالِف النِّعَم » .

قال ابن القيم : « هذه ثلاثة أشياء تبعث المتَلبِّسَ بها علىٰ الصبر في البلاء :

---

(١) الحلية ٨ / ٣٧ .

(٢) انظر كلام ابن القيم في عدّة الصابرين صـ ٢١٠ .

إحداها : « ملاحظةُ حسْن الجزاء » : وعلىٰ حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته ، يخفُّ حمْل البلاء لشهود العِوَض ، وما أقدم أحدٌ علىٰ تحمُّل مشقَّةٍ عاجلة إلَّا لثمرة مؤجَّلة ، فالنفسُ موكّلة بحبِّ العاجل ، وإنّما خاصّة العقل : تَلمُّحُ العواقب ، ومطالعة الغايات . وأجمع عقلاء كلّ أمّة علىٰ أنَّ النعيم لا يُدرك بالنعيم ، وأنَّ مَنْ رافَقَ الراحة فارق الراحة ، وحصل علىٰ المشقة وَقْتَ الراحة ، **فإنَّه على قَدْر التعب تكون الراحة** .

علىٰ قدْر أهلِ العَزْمِ تأتي العَزَائِمُ ... وَتأتي علىٰ قَدْرِ الكريمِ الكرائِمُ
ويكبرُ في عَيْنِ الصغيرِ صَغيرُهَا ... وتصْغُرُ في عَيْنِ العظيمِ العظائمُ

والقصد : أنَّ ملاحظة حُسْن العاقبة تُعين علىٰ الصبر فيما تتحمّله باختيارك وغير اختيارك .

والثاني : « انتظار روح الفرج » : يعني راحته ونسيمه وَلَذَّته ، فإنَّ انتظاره ومطالعته وترقُّبه يخففُ حمل المشقّة ، ولا سيّما عند قوّة الرجاء ؛ فإنّه يجد في حشْو البلاء مِن روح الفرج ونسيمه وراحته ، ما هو مِن خفيّ الألطاف ، وما هو فرج معجّل ، وبه وبغيره يُفهم معنىٰ اسمه:اللطيف » .

وكَــمْ لِلّهِ مــنْ لُطْـفٍ خَفِــيّ ... يَـدِقُّ خَفَــاهُ عــن فَهْم الذَّكِيّ

والثالث : « تهوين البليّة » بأمريْن :

أحدهما : أنْ يَعِدّ نِعَمَ الله عليه وأياديه عنده ، فإذا عجَز عن عَدِّها ، وأَيِس من حصْرها ، هـان عليه ما هو فيه مِن البلاء ورآه - بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرةٍ من بَحْر .

الثاني : تذكُّر سـوالِف النِّعم التي أنعم الله بهـا عليه ، فهـذا يتعلّق بالماضي . وتعـداد أيادي المنن : يتعلّق بالحال . وملاحظة حسن الجزاء ، وانتظار روح الفرج : يتعلق بالمستقبل ، وأحدهما في الدنيا ، والثاني يوم

الجزاء »[(١)].

عن يونس بن يزيد قال : « سألتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمـٰن : ما منتهىٰ الصَّبر ؟ قال : أن يكون يومَ تُصيبُه المصيبةُ مثلَه قبل أنْ تُصيبه » .

« وقال قيْس بن الحجاج في قول الله تعالىٰ : ﴿ **فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا** ﴾ [المعارج : ٥] ، قال : أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يُعرَف مَن هو » .

ملكتُ دموع العين حتىٰ رددتها إلى ناظري فالعين في القلب تدمعُ

الصَّبْر عنِ المَعْصية :

قيل لوهيب بن الورد : هل يذوق حلاوة الإيمان مَن عصىٰ ؟ قال : لا ، ولا مَنْ همّ .

« قال ميمون بن مهران : الصبرُ صبران : فالصبر علىٰ المصيبة حسن ، وأفضل منه الصبر عن المعصية »[(٢)] .

وقال ابن القيم : « مَشَقَّة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته علىٰ العبد ، فإذا اجتمع في الفعل هذانِ الأمرانِ ، كان الصبر عنه أشقّ شيءٍ على الصابر . ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم ، وصبر الشابِّ عن الفاحشة ، وصبر الغني عن تناول اللذات والشهوات - عند الله بمكان . ولذلك استحقّ **المذكورون** في الحديث ، الذين يظلُّهم الله في ظلِّ عَرْشه ، لكمال صبرهم ومشقّته ؛ فإنّ صبر الإمام المتسلّط علىٰ العدل في قسْمه وحكْمه ورضاه وغضبه ، وصبر الشابِّ على عبادة الله ومخالفة هواه ، وصبر الرجل على ملازمة المسجد ، وصبر المتصدِّق علىٰ إخفاء الصَّدقة حتىٰ عن

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٦٦ - ١٦٧ .
(٢) عدة الصابرين صـ ٦٨ .

بعضِهِ ، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه ، وصبر المتحابين في الله على ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما ، وصبر الباكي مِن خشية الله على كتمانِ ذلك وعدم إظهاره للناس - من أشقِّ الصبر . ولهذا كانت عقوبة الشيخ الزاني والمِلك الكذّاب والفقير المختال أشدَّ العقوبة ، لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرّمات عليهم ، لضعْف دواعيها في حقِّهم ، فكان تركُهم الصبر عنها مع سهولته عليهم دليلًا علىٰ تمرُّدهم على الله وعُتوّهم عليه . ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر »[١].

الكريمُ بنُ الكريمِ بنِ الكريمِ بن الكريم : يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ ، عليهم السلام :

قال ابن القيم رحمه الله : « سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول : كان صبرُ يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز علىٰ شأنها ، أكملَ من صبره على إلقاء إخوته له في الجُبِّ ..... فصبره عن المعصية صبرُ اختيار ورضًى ومحاربة للنفس ، ولا سيّما مع الأسباب التي تقوىٰ معها دواعي الموافقة :

فإنّه كان شابًّا ، وداعيةُ الشباب إليها قويّة . وعَزَبًا ليس له ما يعوِّضه ريردُّ شهوته . وغريبًا : والغريبُ لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه مَنْ بين أصحابه ومعارفه وأهله . ومملوكًا : والمملوك أيضًا ليس له وازعُه كوازعِ الحرّ . والمرأة جميلة ، وذات منصب ، وهي سيِّدته . وقد غاب الرقيب . وهي الداعية له إلى نفسها ، والحريصة علىٰ ذلك أشدَّ الحرص ، ومع ذلك توعَّدته إنْ لم يفعل : بالسجن والصَّغار . ومع هذه الدواعي

(١) عدّة الصابرين صـ٦٦ - ٦٧ .

كلِّها : صبرَ اختيارًا ، وإيثارًا لِمَا عند الله ، وأين هذا مِن صبره في الجُبِّ علىٰ ما ليس مِن كسْبه ؟! »(١) .

يوسف الصِّدِّيق المحْسِن ما وقَع منهُ همٌّ بالمعصية ألبتةَ ، لعُلوِّ قَدْره وهمّته :

قال تعالىٰ : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشاءَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٤] .

اختيار الشيخ أبي حَيَّان : أنَّ يوسف لم يقع منه همٌّ – بالمعصية – أصلًا . قال الشَّنْقِيطي : « هذا الوجه الذي اختارَهُ أبو حيان وغيره هو أجْرَىٰ الأقوال على قواعد اللغة العربية؛ لأنَّ الغالِب في القرآن وفي كلام العرب أنَّ الجواب المحذوف يُذكَر قبله ما يدلُّ عليه ، كَقَوْله : ﴿ **فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ** ﴾ [يونس : ٨٤] ، أي : إنْ كنتم مسلمين فتوكَّلوا عليه . فمعنىٰ الآية : وهمَّ بها لولا أنْ رأى بُرهانَ رَبِّه . أي : لولا أنْ رآه ، هَمَّ بها .

ونظيرُ ذٰلك قولُه تعالىٰ : ﴿ **إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ...** ﴾ الآية [القصص : ١٠] ، أي : لولا أنْ ربطنا على قلبها لَكادتْ تُبدي به » .

إنَّ الذي يستلفِتُ النظرَ كثرةُ تَكْرار الإحسان عند يوسف ، فكان محسنًا مع ربِّه وأيضًا مع الناس :

وقد سمّىٰ الله قصَّته ﴿ **أحسنَ القَصَص** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٢] .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٥٦ .

ووصفَهُ السُّجَناءُ بذٰلِكَ : ﴿ **نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحسِنِينَ** ﴾ [يوسف : ٣٦] .

وبه مكّنه الله تعالىٰ في الأرض ﴿ **وَكَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حيثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : ٥٦] .

وقال لهٗ إخوتُه وَهُمْ لا يعرفونه : ﴿ **فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : ٧٨] .

وقال عن نفسه وأخيه : ﴿ **قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف : ٩٠] .

ثم أثنىٰ علىٰ رَبِّه بإحسانه إليه : ﴿ **وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ** ﴾ [يوسف : ١٠٠] .. فيوسف عليه السلام وصفه الله بأنَّه مِنَ المُخلَصين والمخلِصين ، وهؤلاءِ ليس للشيطان عليهم سلطان ألبتة ، ووصفه الله بأنَّه من المحسنين ، والإحسان أنْ تعبد الله كأنّك تراه ، فكيف يهمُّ بالمعصية مَن كان هذا حاله ونَعْته ؟!

فللّهِ ما أعلىٰ همّته وصبرَه .. شهد الله لصبره عن المعصية ، وشهدتِ امرأة العزيز والنِّسوة ، حتىٰ إبليس أقرّ بطهارةِ يوسف ، فهو مِن سادات المخلصين ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أجمعينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُم الْمُخْلَصِين** ﴾ [صٓ : ٨٢ ، ٨٣] ، فأقرّ بأنَّه لا يُمكنه إغواء المخلصين .

يقول الهروي في المنازل : « الصبر عن المعصية بمُطالعة الوعيد : إبقاءً علىٰ الإيمان ، وحَذَرًا من الحرام ، وأحسنُ منها : الصبر عن المعصية حياءً » .

قال ابن القيم : « ذَكَرَ للصبر عن المعصية سببيْن وفائدتيْن :

أمَّا السَّبَبَان : فالخوف من لحُوق الوعيد المترتّب عليها . والثاني : الحياء من الربِّ تبارك وتعالىٰ أن يُستعان على معاصيه بِنِعَمِه ، وأنْ يُبَارَز بالعظائم .

وأمَّا الفائدتان : فالإبقاء على الإيمان ، والحذَر من الحرام .

فأمَّا مطالعة الوعيد ، والخوف منه ، فيبعث عليه قوة الإيمان بالخبر ، والتصديق بمضمونه .

وأمّا الحياء : فيبعث عليه قوة المعرفة ، ومشاهدة معاني الأسماء والصفات . وأحسن من ذلك : أن يكون الباعث عليه وازِع الحُبِّ ، فيترك معصيته محبةً له كحال الصُّهَيْبيين .

ولمّا كان « الحياء » من شِيَم الأشراف ، وأهل الكَرَم والنفوس الزكيّة ، كان صاحبه أحسن حالًا مِن أهل الخوف . ولأنّ في الحياء من الله ما يدلّ علىٰ مراقبته وحضور القلب معه ، ولأنَّ فيه من تعظيمه وإجلاله ما ليس في وازع الخوف .

فمَن وازعُه الخوف : قلبُه حاضرٌ مع العقوبة ، ومَن وازعه الحياء : قلبُه حاضرٌ مع الله ، والخائف مُراعٍ جانبَ نفسه وحمايتها ، والمستحيي مراعٍ جانبَ ربِّه وملاحِظٌ عظمته ، وَكِلَا المقامَيْنِ : من مقاماتِ أهل الإيمان ، غيرَ أنَّ الحياء أقربُ إلى مقام الإحسان ، وأَلْصَقُ به ، إذْ أنزل نفسه منزلةَ مَن كأنّه يَرَىٰ الله ، فنبعتْ ينابيعُ الحياء من عيْنِ قلبه ، وتفجرت عيونُها » .

راودَت امرأةٌ رجلًا ، فقال لها : إنّ رجلًا يبيعُ جنةً عَرْضُها الأرضُ والسمٰوات بفِتْر ما بَيْنَ رجليْك ، لعديمُ البَصَر بالمساحة .

وراوَدَ رجلٌ امرأةً عن نفسها ، وقال لها : لا يَرانا إلَّا الكواكبُ . فقالت له : فأين مُكَوْكِبُهَا ؟!

تَقْويةُ باعثِ الدِّين والهمّةِ في الصَّبرِ عن المعصية :

ويكون ذلك بأمور :

أحدها : إجلال الله تبارك وتعالىٰ أنْ يُعصىٰ وهو يَرىٰ ويَسمع ، ومَن قام بقلبه مشهدُ إجلالِهِ ، لم يطاوعْه قلبُه لذلكَ ألبتة .

الثاني : مشهد محبَّته سبحانه ، فيترك معصيته محبةً له ، وأفضل التَّرك تَرْك المحبِّين ، كما أنَّ أفضل الطاعة طاعةُ المحبِّين ، فبيْن تَرْك المحبِّ وطاعته ، وتَرْك مَن يخاف العذابَ وطاعته بوْنٌ بعيد .

الثالث : مشهد القهْر والظفر ؛ فإنّ قهْر الشهوة والظفر بالشيطان : له حلاوة ومسرّة وفرحة عند مَن عَلَتْ همّته ، أعظمَ من الظفر بعدوّه من الآدميِّين ، وأحلىٰ موقعًا وأتمَّ فرْحةً .

الرابع : أنْ يُعوّد باعِثُ الدين ودواعيه مصارعةَ داعي الهوىٰ ، ومقاومته علىٰ التدريج قليلًا قليلًا ، حتىٰ يُدْرك لَذَّة الظفر ، فتقوىٰ حينئذٍ همَّتُهُ ؛ فإنَّ مَن ذاق لَذَّة شيءٍ قَوِيتْ همَّتُه في تحصيله ، ومَن ترك المجاهدة بالكُلِّيَّة ضَعُفَ فيه باعثُ الدين وقوي فيه باعث الشهوة ، ومتىٰ عوّد نفسه مخالفة الهوىٰ ، غلبهُ متى أرادَ .

الخامس : أنْ يعلم العبدُ بأنّ فيه جاذبيْن متضادَّيْن ، ومحنتُه بين الجاذبيْن ، فجاذِبٌ يجذبُه إلى الرفيق الأعلىٰ من أهل عِلِّيِّين ، وجاذبٌ يجذبه إلى أسفل سافلين ، فكلّما انقاد مع الجاذب الأعلىٰ ، صَعِدَ درجةً حتىٰ ينتهي إلى حيثُ يَليق به من المَحَلِّ الأعلى ، وكُلّما انقاد إلى الجاذِب الأسفل نزل ... ومتىٰ أراد أنْ يعلم هلْ هو مع الرفيق الأعلىٰ أو الأسفل ، فلْينظرْ أين روحُهُ في

هذا العالم ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعملُ علىٰ شاكِلَتِهِ** ﴾ [الإسراء : ٨٤] ، فالنفوس العُلويّة تنجذبُ بذاتها وهمّها وأعمالها إلى أعلىٰ ، والنفوس السافلة إلى أسفل .

الصبر علىٰ الطاعة وهو الصبر الأعلىٰ :

وأكملُ الناس صبرًا علىٰ الطاعة أولو العزم من الرسـل ، ولذا أمر رسوله ﷺ أن يصبر صبرهم ، فقال تعالىٰ : ﴿ **فاصبرْ كَمَا صبرَ أولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسلِ** ﴾ ، [الأحقاف : ٣٥] ، ونهاه أن يتشبّه بصاحب الحوت ، حيث لم يصبر صبْر أولي العزم ، فقال تعالىٰ : ﴿ **فاصبرْ لحكمِ رَبِّك ولا تكنْ كَصَاحِبِ الحوتِ إذْ نادَىٰ وَهو مَكْظُوم** ﴾ ، [القلم : ٤٨] .

صَبْرُ خليل الرحمٰن :

لقد كان صبر خليل الرحمٰن عليه الصلاة والسلام أوفىٰ صبْر ، وقد صبر علىٰ طاعة الله ، وصابر ورابط ، وفيه قال الله تعالىٰ : ﴿ **وإبراهيمَ الذي وفَّىٰ** ﴾ [النجم : ٣٧] ، وقال تعـالىٰ : ﴿ **وإذ ابتلىٰ إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمَّهُنَّ قال إنّي جاعِلُك للناسِ إمامًا قال ومِن ذُريَّتي قالَ لا ينالُ عهدي الظَّالمِين** ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

قال ابن عباس : ما قام أحدٌ بدينِ الله كلِّه إلّا إبراهيم عليه السَّلام ، قدَّم بدنَه للنيران ، وطعامَه للضيفان ، وولدَه للقُرْبان ...

بأبي وَأُمِّي خليل الرحمٰن ، وَمَن يصـبرُ صبـرَه ؟! يأمُره اللهُ تبارك وتعالىٰ بجعْل ولدِه وزوجِهِ في مكانٍ قَفْرٍ ويُطيع ، ويأمُره بذبح ولده وهو الشيخُ الطَّاعنُ في السِّن فيُطيع ، وَيُلْقَىٰ في النَّار فيصبر ، وسَلِمَ قلبُه من كلِّ الأغيار ، وأتى ربَّه بقلبٍ سليمٍ ، ابتلاهُ ربُّه بكلماتٍ فأتمَّهن ، وكسَّر الأصنامَ غيرةً لربِّه مِنْهُنَّ ، فلمَّا أُجِّجَتِ النارُ ذهبت بلطْف الله حرارتُهنّ ،

وغُرِس شجرُ الجنة في سواء الجحيم ، ﴿ **قلنا يا نارُ كوني بَرْدًا وسلامًا علىٰ إبراهيم** ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

صبر نوحٍ عليه السلام :

مرَّ بنا في علوّ الهمة في الدعوة إلى الله صبرُ نوح النَّبيل الكريم في الدعـوة . وهي من أعلىٰ الطاعات ، ألف سنة إلَّا خمسـين عامًا .. يُوقِفُ أنفاسه علىٰ الدعوة إلى الله ... في أطْول صبر عرفه تاريخ البشرية ... وأكْرَم صـبر .

صبر إسماعيل عليه السلام :

قال تعالىٰ : ﴿ **فلمَّا بلغ معه السَّعْيَ قال يا بُنيَّ إنِّي أرىٰ في المنام أنِّي أذْبحك فانظرْ ماذا ترىٰ قال يا أبتِ افعلْ ما تُؤْمَر ستجدُني إنْ شاء اللهُ من الصَّابرين فلمَّا أسلمَا وتلَّه للجبين وناديْناه أن يا إبراهيمُ قدْ صدَّقتَ الرؤيا إنَّا كذٰلِكَ نجزي المحسنين** ﴾ [الصافات : ١٠٢ - ١١١] .

حادث فريد عظيم ، تعجزُ الكلماتُ أن تصوّر روْعته ، وصبرٌ بل ورضًا ونُبْل طاعةٍ ، وروعة إيمان وعظمة تسليم ، ووراء كلّ ما يتعارف عليه بنو الإنسان ... رضًا هادئ وصبر جميل مُستبشر ، متذوّقٌ للطاعة وطعْمها العذْب ، يبقىٰ منارةً ...

فللَّهِ درُّ إبراهيم الخليل في عزمه وخُلّته لربِّه ! ولله صبْر إسماعيل ... قَبلَ الله منه هذا الصبر وفدّاه ، وأكرمه كما أكرم أباه !

قال شيخ الإسلام الأنصاري : « الصبر علىٰ الطاعة ؛ بالمحافظة عليها دوامًا ، وبرعايتها إخلاصًا،وبتحسينها علمًا » .

قال ابن القيم : « إنَّ الطاعة تتخلف من فوات واحدٍ من هذه الثلاثة ،

فإنَّ العبد إنْ لم يحافظ عليها دوامًا عطَّلها ، وإنْ حافظ عليها دوامًا عَرَض لها آفتان :

إحداهما : تَرْك الإخلاص فيها ، فحفْظها مِن هذه الآفة برعاية الإخلاص .

الثانية : ألَّا تكون مطابقة للعلم ، بحيث لا تكون على اتباع السنَّة ، فحفظها من هذه الآفة بتجريد المتابعة .

سَيِّد المؤذِّنين ، المشهود له بالجنة على التعْيين ، بلالُ بن رباح :

« عن زرّ ، عن عبد الله قال : أول مَن أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمُّه سُميَّة ، وبلال ، وصهيب ، والمقداد ، فأمَّا النبي ﷺ وأبو بكر : فمنعهما الله بقوْمهما ، وأمّا سائرهم : فأخذهم المشركون ، فألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم أحدٌ إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال ؛ فإنّه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شِعاب مكة ، وهو يقول : أحدٌ أحد »[(١)].

لقد نالتْ سِيَاطُ الكفر دَوْمًا ... بمكـةَ مِـن ظهـور الصالحينـا
فَمَهْـلًا يا طغـاةَ الشِّـرْكِ مَهْـلًا ... فطعـمُ السَّـوْطِ أحلى ما لقينـا
ومـا عِبْنَـا عليه سـوى جـراحٍ ... تُصيبُ الجسمَ دون الرُّوحِ فينا

وهذا عمار يُعَذَّب حتى لا يدري ما يقول ، وخبّاب ما ينطفئ وَهَجُ الحديدَ المحمي الذي يضعونه عليه إلَّا بما يسيل من وَدَك ظهره ، وخُبيب بن عَدِيّ يردّد حداءَه الجميل :

ولستُ أُبالي حين أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَـهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

(١) السير ١ / ٣٤٧ - ٣٤٨ ، وإسناده حسن .

فأين أنت يا مخنَّث العزم والطريق طويل ، تعب فيه آدم،وناح فيه نوح ، وأُلقي في النَّار إبراهيم ، واضطجع للذبح إسماعيل ، وَشُقَّ بالمنشار زكريا ، وَذُبِحَ السيدُ الحصور يحيىٰ ، عاش مع الوحوش عيسىٰ ، قاسىٰ الضُّرَّ أيُّوبُ ، زاد على المقدار في البكاء داود ، اتُّهم بالسحر والجنون نبيُّ الله الكريم ؛ كُسِرَت رباعيّتُه وشُجَّ رأسه ووجهه ، ولله جنود السمٰوات والأَرض ، قُتل ذو النورين وعليّ ، وَطُعن عمر ، وقُتل الحسين ، وسعيد ابن جبير ، وعُذِّب ابن المسيب ومالك ، فرفعهما الله بعد محنتهما ؟!

الإمام الكبير الشهيد أحمد بن نصْرٍ الخُزاعّي :

« كان رحمه الله أمَّارًا بالمعروف ، قوّالًا بالحقّ .

حُمل إلى سامرّاء مقيَّدًا ، وجلس الواثق له ، وقال لأحمد : دَعْ ما أُخِذت له ، ما تقول في القرآن ، قال : كلامُ الله . قال : أفمخلوق هو ؟ قال : كلامُ الله . قال : فترىٰ ربَّك في القيامة ؟ قال : كذا جاءتِ الرواية . قال: ويْحَك! يُرىٰ كما يُرَىٰ المحدود المُتجسِّم، ويحويه مكانٌ ويحاصره ناظر ؟! أنا كفرتُ بِمَنْ هذه صفته ، ما تقولون فيه ؟ فقال قاضي الجانب الغربيّ : هو حلالُ الدَّم . ووافقه فقهاء ، فأظهر أحمد بن أبي دؤاد أنّه كارهٌ لقتْله ، وقال : شيخٌ مُختلٌّ ، تغيّر عقْله ، يُؤَخَّر . قال الواثق : ما أُراه إلا مُؤَدِّيًا لكفره قائمًا بما يعتقده ، ودعا بالصَّمصامة ، وقام . وقال : أحتسب خطاي إلى هذا الكافر . فضَرب عنقه بعد أنْ مدُّوا رأسَه بحبلٍ وهو مقيّد ، ونُصب رأسُه بالجانب الشرقيّ .

كان جعفر بن محمد الصائغ يقول : رأيتُ أحمد بن نصر حين قُتل ، قال رأسُه : لا إلٰه إلَّا الله .

قال المروذي : سمعتُ أحمد بن حنبل ذكر أحمد بن نصر ، فقال :

رحمه الله ، لقد جادَ بنفسه .

ونُقل عن الموكَّل بالرأس ، أنه سمعه في الليل يقرأ : ﴿ يسٓ ﴾ ، وصح أنهم أقعدوا رجلًا بقصبة ، فكانت الريح تُدير الرأسَ إلى القبلة ، فيديره الرجل .

« قال السراج : سمعتُ خلف بن سالم يقول بعد ما قُتل ابن نصر ، وقيل له : ألَا تسمع ما الناس فيه،يقولون : إنّ رأس أحمد بن نصر يقرأ ؟! فقال : كان رأس يحيىٰ يقرأ » .

بقي الرأسُ منصوبًا ببغداد ، والبدن مصلوبًا بسامرَّاء ستَ سنين ، إلى أنْ أُنْزِلَ ، وجُمع في سنة سبع وثلاثين ، فَدُفِنَ رحمةُ الله عليه »[1].

إمامُ أهلِ السُّنَّةِ يُعطي المجهودَ مِن نفسهِ في المِحْنَة :

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال لي أبي : يا بُنَيَّ ، لقد أعطيتُ المجهود من نفسي .

وقال أبو غالب ابن بنت معاوية : ضُرِبَ أحمد بن حنبل بِالسِّيَاط في الله ، فقامَ مَقَامَ الصِّدِّيقين ، في العشر الأواخر مِن رمضان سنة عشرين ومائتين .

عن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان ؛ الصابرُ فيهم على دينه كالقابِض على الجمر »[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ١٦٧ - ١٦٩ .

(٢) صحيح ، رواه الترمذي وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٧٩) ، والصحيحة (رقم ٩٥٥) .

مِن ورائكم زمان صبر ، للمتمسِّك فيه أجرُ خمسين شهيدًا منكم »[1] .

وقال الشافعي : أسَدُّ الأعمال ثلاثة : الجُود من قِلّة ، والوَرَع في خُلْوة ، وكلمة الحقِّ عند مَن يُرجىٰ ويُخَاف .

أُخِذَ أحمد بن حنبلٍ في محنة خلْق القرآن أيّام المأمون ، ليُحمَلَ إلى المأمون ببلاد الروم ، وأُخذ معه أيضًا محمد بن نوحٍ مقيَّدَيْن ، ومات المأمون قبل أن يلقاه أحمد ، فَرُدَّ أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح في أقيادهما ، فمات محمد بن نوح في الطريق ، وَرُدَّ أحمد إلى بغداد مقيَّدًا .

ودخل على الإمام أحمد بعضُ حُفاظ أهلِ الحديث بالرقة وهو محبوس ، فجعلوا يُذاكرونه ما يروىٰ في التقيَّة من الأحاديث ، فقال أحمد : وكيف تصعنون بحديث خبّاب : « إنَّ مَن كان قبلكم كان يُنشر أحدهم بالمنشار ، ثم لا يصدُّه ذلك عن دينه » ؟! فيئسوا منه .

قال أحمد : لستُ أبالي بالحبس ؛ ما هو ومنزلي إلا واحد ، ولا قتلًا بالسيف ، إنّما أخاف فتنة السَّوْط ، وأخاف أنْ لا أصبر . فسمعَه بعضُ أهل الحبس وهو يقول ذلك ، فقال : لا عليك يا أبا عبد الله ، فما هو إلَّا سوطان ، ثم لا تدري أين يقع الباقي ، فكأنَّه سُرِّي عنه .

قال الإمام أحمد : كنتُ أُصَلّي بأهل السجن وأنا مقيَّد .

ولما مات المأمون ، رُدّ أحمد إلى بغداد فسُجن ، إلى أن امتحنه المعتصم .

« قال أبو بكر المروزي : لمّا سُجن أحمد بن حنبل ، جاء السَّجَّان ،

---

(١) صحيح ، رواه الطبراني في المعجم الكبير ، وصححه الألباني في الصحيحة (رقم ٤٩٤) وصحيح الجامع رقم (٢٢٣٠) .

فقال له : يا أبا عبد الله ، الحديث الذي رُوي في الظَّلَمَة وأعوانهم ، صحيح ؟ قال : نعم . قال السّجّان : فأنا من أعوان الظَّلَمَة ؟ قال أحمد : فأعوان الظلمة مَنْ يأخذ شَعْرَك ، ويغسل ثوبك ، ويُصلح طعامك ، ويَبيع ويشتري منك ، فأمّا أنت فَمِنْ أنفسِهم »(١) .

لله دَرُّ ابن حنبل ، وضعُوا في رجْله أربعةَ قيود ، وهو إمام أهل السنة !!

ولمّا أمر المعتصم بحمْل أحمد إليه - وكان قد سجنوه في رمضان سنة تسع عشرة ، في دار إسحاق بن إبراهيم - دخل عليه إسحاق ، فقال : يا أحمد ، إنها والله نفسك ، إنه لا يقتلك بالسيف ، إنه قد آلى إنْ لم تجبْه أنْ يضربَك ضربًا بعد ضربٍ ، وأنْ يُلقيَك في موضع لا ترى فيه الشمس ، وجيء إلى أحمد بدابّة ، فَحُمِلَ عليها وعليه الأقياد ، وكاد غيرَ مرَّة أنْ يخرّ على وجهه ؛ لِثِقَل القيود ، فجيءَ به إلى دار المعتصم ، وأدخلوه في حجرة ، وأدخلوه إلى بيت ، وأقفل الباب عليه ، وذلك في جوْف الليل ، وليس في البيت سِراج ، فلمّا كان الغَدُ ، أخرجوه إلى الخليفة ليناظره أحمد بن أبي دؤاد ، والمعتصم يقول : واللهِ لَئِنْ أجابني لأُطلقن عنه بيدي ، وَلَأَركبنّ إليه بجندي ، وَلَأَطأن عقبَهُ . ثم قال : يا أحمد ، واللهِ إني عليك لشفيقٌ ، وإني لأُشفق عليك كشفقتي على هارونَ ابني ، ما تقول ؟ فأقول : أعطوني شيئًا مِن كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله . ومرةً أُخرى يقول المعتصم لأحمد : ما كنت تعرف صالحًا الرشيدي ؟ قال أحمد : قد سمعتُ باسمه . قال : كان مُؤَدِّبي ، وكان في ذلك الموضع جالسًا - وأشار إلى ناحية من الدار - فسألتُه عن القرآن ، فخالفني ، فأمرتُ

(١) مناقب الإمام أحمد صـ ٣٩٧ .

به فَـوُطِئَ وَسُحِبَ . وبعد ثلاثة أيام مـن المناظرة والإمام أحمـد يُفحم المبتدعة ، قال المعتصم : العقابين والسياط . فجيء بهم .

قال إبراهيم البوشنجي : ذكروا أنَّ المعتصم رقَّ في أمر أحمد ، لمَّا عُلِّقَ في العقابين ، ورأىٰ ثبوته وتصميمه ، وصلابته في أمره ، حتىٰ أغراه ابن أبي دؤاد ، وقال له : إنْ تركتَه قيل : إنّك تركتَ مذهب المأمون ، وسخِطتَ قولَه . فهاجه ذلك على ضرْبه .

« قال صالح : قال أبي : لمّا جيء بالسياط ، نظر إليها المعتصم ، فقال : ائتوني بغيرها . فأُتي بغيرها ، ثم قال للجلَّادين : تقدّموا . فجعل يتقدّم إليَّ الرجلُ فيضربني سَوْطَيْن ، فيقول له - يعني المعتصم - : شُدَّ ، قطع اللهُ يدك ! ثم يتنحَّى ، ثم يتقدَّم الآخر فيضربني سَوْطَيْن ، وهو في كلِّ ذلك يقول لهم : شدُّوا ، قطع اللهُ أيديكم ، فلمّا ضُرِبتُ تسعة عشر سوطًا ، قام إليَّ - يعني : المعتصم - فقال : يا أحمد ، علامَ تقتل نفسَك ؟! إني والله عليك شفيق . قال : فجعل عُجيف ينخسني بقائم سيفه ، وقال : أتريد أنْ تغلب هؤلاء كلَّهم ؟ وجعل بعضهم يقول : ويلك ! الخليفةُ على رأسك قائم . وجعل عبد الرحمـٰن يقول : ويْحك يا أحمد ! مَن صنع مِن أصحابك في هذا الأمر ما تصنع ؟! قال : وجعل المعتصم يقول : ويحك يا أحمد ! أجبني إلى شيء لك فيه أدنىٰ فَرَج ، حتى أُطلق عنك بيدي . قال : فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئًا من كتاب الله عز وجل ، أو سنة رسوله حتى أقول به . قال : فرجع فجلس ، فقال للجلّادين:تقدَّموا . فجعل الجلّاد يتقدم ويضربني سوطين ويتنحّىٰ ، وهو في خلال ذلك يقول : شُدَّ ، قطع اللهُ يدك . قال أبي : فذهب عقلي ، فأفقتُ بعد ذلك ، فإذا الأقياد قد أُطلقتْ عني ، فقال لي رجل ممّن حضر : إننا كَبَبْنَاك على وجهك ، وطـرحنا على ظهرك باريَّة ، ودُسناك . قال أبي : فما شعـرتُ

بذلك ، وأتوْني بسُويقٍ فقالوا لي : اشربْ وتقيّأْ . فقلت : لستُ أُفطر . ثم جِيء بي إلى دار إسحاقَ بن إبراهيم ، فحضرتْ صلاة الظهر ، فتقدم ابن سماعة فصلّى ، فلمّا انفتل من الصلاة ، قال لي : صلَّيْتَ والدمُ يسيل في ثوبك ؟! فقلتُ : قد صلّى عمر وجُرْحه يثغب دمًا »[1]. ثم خُلّي عنه فصار إلى منزله ، فمكث في السجن منذ أُخذ وحمل ، إلى أنْ ضرب وخُلّي عنه : ثمانيةً وعشرين شهرًا . قال بعض الجلّادين الذين ضربوا الإمام أحمد : لقد بطل أحمدُ الشُّطّار ، واللهِ لقد ضربتُه ضربًا ، لو أُبرِكَ لي بعيرٌ فضربتُه ذلك الضرب ، لنقبتُ عن جوْفه .

وقال شاباص التائب : لقد ضربتُ أحمد بن حنبل ثمانين سوْطًا ، لو ضربتُه فيلًا لهدَّتْه .

يرحم الله إمام أهل السنة ، لله دَرُّه ودرّ أُمٍّ أنجبتْه ، لقد كاد أن يكون إمامًا وهو في بطنها !!.

قال محمد بن إبراهيم بن مصعب - وهو على الشُّرَط للمعتصم ، خليفة إسحاق بن إبراهيم - : ما رأيتُ أحدًا لم يداخل السلطان ولا خالَط الملوك ، أثبتَ قلبًا من أحمد يومئذٍ ، ما نحن في عينه إلّا كأمثال الذُّباب .

لمّا أُخرج رحمه الله إلى المعتصم يومَ ضُرب ، قال له العوْن الموكّل به : ادعُ على ظالِمك . فقال : ليس بصابرٍ مَن دعا على ظالم .

قال ابن الجوزي : هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها ، كما هانت على بلالٍ نفسه . وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنَّه كانت نفسه عليه في الله تعالى ، أهونَ مِن نفس ذباب ، وإنما تهون عليهم أنفسُهم

---

(١) مناقب الإمام أحمد صـ ٤٠٥ - ٤٠٧ .

لِتَلمُّحِهم العواقب ، فعيونُ البصائر ناظرةٌ إلى المآل لا إلى الحال ، وشدّة ابتلاء أحمد دليل على قوّة دينه ؛ لأنّه قد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال : « يبتلَى الرجلُ على حسب دينه » . فسبحان مَن أيّده وبصّره ، وقوّاه ونصره !!

« قال ابن الجوزي : وما زال الناس يُبْتَلَوْن في الله تعالَى ويصبرون ، وقد كانت الأنبياء تُقتل ، وأهل الخير في الأمم السابقة يُقتلون ويحرّقون ، ويُنشر أحدهم بالمنشار ، وهو ثابت على دينه . وقد سُمّ نبيُّنا ﷺ ، وسُمَّ أبو بكر ، وقتل عمر وعثمان وعلي ، وسمّ الحسن ، وقتل الحسين بن علي ، وابن الزبير ، والضحّاك بن قيس ، والنعمان بن بشير ، وصُلب خُبيب ابن عَدِيّ .

وقَتل الحجاجُ عبدَ الرحمـٰن بن أبي ليلَى ، وعبدَ الله بن غالب الحداني ، وسعيدَ بن جُبيْر ، وأبا البختري الطائي ، وكميلَ بن زياد ، وحطيطًا الزيّات ، وماهانَ الحنفي؛صلبَهُ ، وصلبَ قبله ابنَ الزبير .

وقتَل الواثقُ أحمد بن نصرْ الخزاعي وصلبه .

فأمّا مَن ضُرب من كبار العلماء :

فعبد الرحمـٰن بن أبي ليلَى : ضربَه الحجّاج أربعمائة سَوْط ، ثم قتله .

وخُبيبُ بن عبد الله بن الزبير : ضربَه عمر بن عبد العزيز بأمْر الوليد مائة سوط ، فكان عمر إذا قيل له : أبشرْ . قال : كيف بخُبيبٍ على الطريق ؟!

وأبو الزناد : ضربه بنو أُمية .

وأبو عمرو بن العلاء : ضربه بنو أمية خمسمائة سوط .

وربيعة الرأي : ضربه بنو أمية .

وعطية العوفي : ضربه الحجّاجُ أربعمائة سَوْط .

ويزيد الضبِّي : ضربه الحجّاجُ أربعمائة سوط .

وثابت البناني : ضربه ابن الجارود خليفة ابن زياد .

وعبد الله بن عوْن : ضربه بلال بن أبي بردة سبعين سوطًا .

ومالك بن أنس : ضربه المنصور سبعين سوطًا في يمينِ المُكْرَه ، وكان مالك يقول : لا تلزمُه اليمين .

وأبو السّوار العدوي ، وعقبة بن عبد الغافر : ضُرِبَا بالسياط .

وَلِأحمدَ بن حنبل في هؤلاء الأئمة أسوةٌ »[1] .

« دخل الحارث بن مسكين على الإمام أحمد ، فقال له : أخبَرَني يوسف بن عمر بن يزيد ، عن مالك بن أنس : أن الزهريّ سُعي به حتى ضُرِبَ بالسياط ، فقيل لمالك بعد ذلك : إنّ الزهريّ قد أُقيم للناس وَعُلِّقَتْ كتبُه في عنقه . فقال مالك : قد ضُرب سعيد بن المسيب بالسياط ، وَحُلِقَ رأسُه ولحيتُه ، وَضُرب أبو الزناد بالسياط ، وَضُرِبَ محمد بن المنكدر وأصحابٌ له في حمّامٍ بالسياط . قال : وقال عمر بن عبد العزيز : لا تغبِطوا أحدًا لم يصبْه في هذا الأمر أذًى . فأُعجبَ أحمد بِقوْل الحارث »[2] .

قيل للشافعي : يُبتلى الرجلُ خيرٌ له أم يُمَكَّن ؟ قال : لا يُمَكَّنُ حتى يُبتلى .

ضربُوا ابنَ حنبل بالسياطِ بظُلْمهم — بغْيًا فثُبِّتَ بالثباتِ الأنْورِ
قال المُوَفَّقُ حينَ مُدِّد بينهمْ — مدّ الأديم معَ الصعيدِ القرْقرِ
إني أموتُ ولا أبوءُ بِفَجْرَةٍ — تصلى بوائقُها محلَّ المفتري

لله دَرُّه !!

---

(١) مناقب الإمام أحمد صـ ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٢) مناقب الإمام أحمد صـ ٤٢١ - ٤٢٢ .

هانتْ عليه نفسُهُ في دِينِهِ فَفَدَىٰ الإمامُ الدينَ بالجُثْمَانِ
لِلّٰهِ مَا لَقِيَ ابنُ حنبلَ صابرًا عزمًا وينصرُهُ بلا أعوانِ

قال بشر الحافي رحمه الله : إنّ ابنَ حنبل طار بحظّها وغنائها في الإسلام .

قال إسحاق بن راهَوَيْه : لولا أحمد بن حنبل وبذلُ نفسِهِ لِمَا بذلها له ؛ لذهَبَ الإسلام .

« وعن أبي هيْثم العابد قال : كنتُ عند بشْر بن الحارث ، فجاءه رجلٌ فقال : قد ضُرب أحمد بن حنبل إلى السَّاعة سبعةَ عشرَ سوطًا ، قال : فمدَّ بشرٌ رجله ، وجعل ينظر إلى ساقيْه ويقول : ما أقبحَ هذا الساقَ أنْ لا يكون القيدُ فيه نصْرة لهذا الرجل » .

وقالوا لبشر : ألَا صنعتَ كما صنع ابن حنبل . فقال : تريدون مني مرتبةَ النبوة ، لا يقوىٰ بدني على هذا ، حَفِظَ الله أحمد ؛ مِن بين يديْه ومن خلفه ، ومن فوقه ومن تحته ، وعن يمينه وعن شماله .

« وقال بشرٌ : أُدخلَ أحمدُ الكِيرَ ، فخرج ذهبًا أحمرَ . قال علي ابن خشرم : فبلغ ذلك أحمد ، فقال : الحمد لله الذي رَضَّىٰ بشْرًا بما صنعنا »[1] .

وما أروع ما كتب مصطفى صادق الرافعي ، بقلمه النيّر - لله دَرُّه - : « كنتُ لا أزال أَعجب من صبْر شيخنا أحمد بن حنبل ، وقد ضُرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غُشي عليه ، فلم يتحوَّل عن رأيه ، فعلمتُ الآنَ أنّه لم يجعل في نفسه للضرب معنىٰ الضرب ، ولا عرف

(١) مناقب الإمام صـ ١٥٧ .

للصبر معنىٰ الصبر الآدمي ، ولو هو صبَر على هذا صَبْرَ الإنسانِ لَجَزِعَ وتحوّل ، ولو ضُرب ضرْب الإنسان لتألَّم وتغيّر ، ولكنه وضع في نفسه معنىٰ ثبات السنة وبقاء الدين ، وأنّه هو الأمّة كلُّها لا أحمد بن حنبل ، فلو تحـوّل لتحـوّل الناس ، ولو ابتدع لابتدعوا ، فكان صبره صبر أمَّة كاملة ، لا صبر فرْد ، وكان يُضرب بالسياط ونفسُه فوق معنىٰ الضرب ، فلو قرضوه بالمقاريض ونشروه بالمناشير ، لَمَا نالوا منه شيئًا ؛ إذْ لم يكن جسمُه إلَّا ثوبًا عليه ، وكان الرجل هو الفكْر ليس غيْر .

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل ، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتُمِنوا عليها من الله ، لتبقىٰ بهم معانيها في هذه الدنيا ، فهم يُزْرعون في الأمم زرعًا بيد الله ، ولا يملك الزرع غير طبيعته ، وما كان المعتصم - وهو يريد شيخنا علىٰ غير رأيه وعقيدته - إلَّا كالأحمق ، يقول لشجرة التفاح : أثمري غير التفاح »[(١،٢)].

أسلم أبو جندل بن سُهيل ، فقيّده أبوه ، لمّا نزل رسول الله ﷺ الحديبية ، خرج أبو جندل يرسُفُ في قيوده ، فدخل في الصحابة ، فقال سُهيل : وهذا أول مَـنْ أُقاضيك عليه . فاستغاث أبو جندل : يا معشـرَ المسلمين ، أُرَدّ إلى المشركين فيفتنوني عن ديني . فقال الرسول : « لا بدّ من الوفاء » . فرُدَّ إليهم ، فقدِم يسعىٰ نحوهم ، وقلبه يجهز جيوش الحِيَل في الخلاص .

أنذرَتْـني أمُّ سعـدٍ أنَّ سعـدًا ... دونهـا يَنْهَـد لي بالشـرِّ نَهْـدَا
وعـلىٰ ما صفحـوا أوْ نَقمُـوا ... ما أرىٰ لي منك يا ظبينُ بُدَّا

(١) مجلة الأسرة العدد ٢٣ صفر ١٤١٦ هـ صـ ٤٣ .
(٢) تحت الطبع رسالة لي عن « الصبر والرضا » .

لمّا أسلم مصعب بن عمير حبسه أهلُه ، فأفْلتَ إلى الحبشة ، ثم قدِم مكة فدخل على رسول الله ﷺ ، فأرسلتْ إليه أمُّه : يا علق ، أتدخل بلدًا أنا فيه ولا تبدأ بي ؟! فقال : ما كنتُ لِأَبدأَ بأحدٍ قبل رسول الله ﷺ . فأرادتْ حبسه ، فقال : واللهِ لئنْ حبستني ، لأحرِّضنَّ على قتْل مَن يتعرّضُ لي . فتركتْه .

وعاذِلينَ لحُوبي في مودَّتكمْ ... يا ليْتَهُمْ وجدُوا مثلَ الذي أجِدُ
لمَّا أطالوا عِتابي فيك قلتُ لهمْ ... لا تُفرطوا بعض هذا اللَّوْمِ واقتصدُوا

جمع حبس التعذيب بين بلالٍ وعمَّار ، مصادَرين على بذل الدين ، فزوَّروا نطْق عمّار ، على خطِّ قلبه ، فلم يعرفوا التزوير ، وأصرّ بلال على دعوىٰ الإفلاس ، فسلّموه إلى صبيانهم في حديده ، يَصهرونه في حرّ مكة ، ويضعون على صدْره - وقتَ الرمضاء - صخرة ، ولسان محبته يقول :

بعينيْك ما يلقىٰ الفؤادُ وما لقي ... وللشّوْق ما لم يبقَ مني وما بقي

واعجبًا ! يُلام ذو حِسٍّ على عشْق يوسف ؟! قدِم الطُّفَيْل بن عمرو الدوْسيّ مكة ، فقالت قريشٌ : لا تَدْنُ من محمد ؛ فإنّا نخاف أنْ يفتنك . فسدَّ أُذنيْه بقطنتيْن ، ثم تفكّر وقال : والله ما يخفىٰ عليَّ الحسَنُ من القبيح . فانطلَقَ فسمع من رسول الله ﷺ ، فأسلم .

وما كنتُ ممَّن يدخلُ العشقُ قلبَهُ ... ولكنّ مَنْ يُبصر جفونَكَ يعشَقُ

قطعتْ قريشٌ لحْمَ خُبيب ، ثم حملوه إلى الجذْع لِيُصلب ، فقالوا : أتحبُّ أنّ محمدًا مكانَك ؟ فقال : واللهِ ما أحب أنّي في أهلي وولدي ، وأنَّ محمدًا شِيكَ بشوْكة . ثم نادىٰ : وامحمَّداه .

إنَّ في الأَسْرِ لَصَبًّا ... ومعهُ في الخدّ صَبُّ
هـو بالـروم مُقِـيمٌ ... ولهُ بالشَّـامِ قَلْـبُ

لمّا توعَّد فرعون السحرة بالصَّلْب ، أنساهم أملُ لقاءِ الحبيب مرارةَ الوعيد ، ﴿ **إنَّا إلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ** ﴾ يا فرعون ، غايةُ ما تفعل أنْ تحرق الجسم ، والرَّكْبُ قد سَرَىٰ ، ﴿ **لَا ضَيْرَ** ﴾ .

فرعونُ عَقلُكَ لمْ يزلْ مَخْدُوعَا ... وزمانُ حكْمِكَ لمْ يزلْ مَقْطُوعَا
ما زلت يا فرعونُ غرًّا تابعًا ... وتظنُّ نفسَك قائدًا متبوعَا
فرعونُ أنتَ الرمزُ سُمُّكَ لم يزلْ ... يَجري بأفئدةِ الطُّغاة نَقيعَا
خضِّبْ يمينَكَ بالدماءِ وقلْ لنَا ... إنّي أنفِّذُ أمريَ المشروعا
اسرقْ غذاءَ الجائعينَ وقلْ لنا ... إنّي أحاربُ في البلادِ الْجوعا
قطِّعْ رؤوسَ المصلحينَ فإنَّهُمْ ... يبغونَ منكَ إلَىٰ الإلٰهِ رُجوعَا
واملأْ سجونَكَ ثمَّ قلْ إنّي هُنا ... لأُحاربَ الإرهابَ والتَّطْبيعا
طَارِدْ بجندِكَ كلَّ صاحبِ مبدإٍ ... يأبىٰ لقانونِ الضَّلالِ خُضوعَا
واركضْ وراءَ شبابِ مصرَ لأَنَّهُمْ ... رفعُوا الجباهَ وحاربوا التطبيعَا
همْ يصعَدون إلى السماءِ وأنتَ في ... أوْحالِ وَهْمِكَ ما تزالُ وَضِيعَا
همْ يَلجئون إلى الإلٰهِ وأنتَ لَا ... يُرضيكَ إلَّا أنْ تسوقَ قطيعَا
هـمْ ينظرونَ بأعْينٍ مجلُوّةٍ ... فيرَوْنَ فَلْكَ في العبادِ شَنِيعَا
عَرَفُوا حقيقةَ سحْرِ مَنْ جمَّعْتَهُمْ ... ورأوْا عصَا موسىٰ تُخيفُ جموعَا
ورأَوْا جِباهَ الساحرينَ تَعفَّرتْ ... سجدُوا لربِّ العالمينَ خُشوعَا
ورأَوْكَ تَستبقي النساءَ رهائنًا ... وتُديرُ قتْلًا في الرجالِ فظيعَا
نظرُوا إليكَ فأنكروكَ لأَنَّهمْ ... عرفوكَ في طُرُقِ الخداعِ ضَلِيعَا
لكَ كلَّ يوم قَوْلَةٌ تلْغي بِهَا ... ما قلتَ أمسِ وتُحسنُ الترقيعا
ما مصرُ يا فرعونُ إلَّا حُرَّةٌ ... تَأْبىٰ إلى غيرِ العفافِ نُزوعَا
لكنَّها سُلِبتْ عباءَةَ طُهْرِهَا ... وخلعْتَ أنتَ حجابَها لِتَضِيعَا
وأكلْتَ أصنافَ الطعامِ ومصرُ في ... ضَنْكٍ شديدٍ لا تنالُ ضريعَا

عجبًا متى تَبني لنفسك منزلًا ... في الحقّ تملأُ مُقْلَتَيْكَ دمُوعَا
أتظنُّ هامانَ الذي استنجَدْتَهُ ... ما زالَ يُوقِدُ للولاءِ شُمُوعَا
أتظنُّهُ ما زالَ يَبني صَرْحَهُ ... حتّى تُطيق إلى السماءِ طُلوعَا
أنسِيتَ قارونَ الذي زرعَ الهوىٰ ... في قلبِهِ حتى استطالَ فُروعَا
ضيفتْ بِهِ الأَرضُ التي أبدىٰ لهَا ... خُيَلاءَهُ وغدا بها مخْدُوعَا
ضاعتْ مفاتيحُ الخزائنِ واختفىٰ ... قارونُ لم يَرَ في العبادِ شَفِيعَا
سلْ عنهُ أرضَكَ حينَ لمْ تتركْ لَهُ ... أثرًا ولا للصوتِ منهُ سَميعَا
أنسيتَ يا فرعونُ أنَّكَ غارِقٌ ... في اليَمِّ تعصِرُ قلبَك المَفْجوعَا
أنسيتَ رَهْوَ البحرِ حينَ وَلجْتَهُ ... فرأيتَ نفسَكَ في الخِضَمِّ صَريعَا
شَرِّقْ وَغَرِّبْ كيفَ شئتَ فإنَّنا ... لا نجهلُ التطبيلَ والتلْمِيعَا
أبشِرْ فإنَّ الفجرَ سوفَ يُريق من ... كأسِ الظلام شرابَك المنقُوعَا
ولَسوفَ تفتحُ مصرُ صفحةَ عِزِّهَا ... وَلَسوفَ يغدو رأسُها مَرفوعَا
فرعونُ لا يخدعْكَ وَهْمُكَ إنّني ... أبصرتُ طِفلًا في حِمَاكَ رضيعَا(١)

ومن علوّ الهمّة: المصابرةُ والمرابطةُ ، قال تعالىٰ : ﴿ **يَٰأَيُّهَا الذينَ آمنُوا اصبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتَّقُوا اللهَ لعلَّكُمْ تُفْلِحون** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، فالصبرُ مع نفسك ، والمصابرةُ بينك وبين عدوّك ، والمرابطةُ الثباتُ وإعداد العُدّة . وكما أنّ « الرِّباطَ » لزومُ الثَّغرِ لئلّا يهجم منه العدو ، فكذلك الرباط أيضًا لزومُ ثغْر القلب ، لئلّا يهجم عليه الشيطان ، فيمْلِكه أو يُخربه أو يُشعثه .

(١) « رسالة إلى فرعون » : قصيدة لعبد الرحمٰن العشماوي - الرياض ٢٩ / ٩ / ١٤١٣ هـ .

صبرُ الكِرَام لا صبْر اللِّئام :

« قال بعض العقلاء : « مَن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم » . أمّا اللئيم فإنَّهُ يصبر اضطرارًا ؛ فإنّه يحوم حوْل ساحة الجزَع ، فلا يراها تُجدي عليه شيئًا ، فيصبر صبرَ الموثق للضرب ، وأيضًا فالكريم يصبر في طاعة الرحمٰن ، واللئيم يصبر في طاعة الشيطان ، فاللئام أصبرُ الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم ، وأقلّ الناس صبرًا في طاعة ربِّهم ، فيصبر على البذْل في طاعة الشيطان أتمَّ صبرٍ ، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في يُسْر شيءٍ ، ويصبر على تحمُّل المشاق لِهَوىٰ نفسه في مرضاة عدوّه ، ولا يصبر على أدنىٰ المشاقّ في مرضاة ربّه ، ويصبر على ما يُقال في عِرْضه في المعصية ، ولا يصبر على ما يُقال في عرضه إذا أُوذيَ في الله ، بل يفرُّ مِن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشيةَ أن يُتكلَّمَ في عرضه في ذات الله ، ويبذُل عرضَه في هوىٰ نفسه ومرضاته صابرًا على ما يُقال فيه ، وكذلك يصبر على التبذُّل بنفسه وجاهه في هوىٰ نفسه ومُراده ، ولا يصبر على التبذُّل لله في مرضاته وطاعته ، فهو أصبر شيءٍ على التبذُّل في طاعة الشيطان ومُراد النفس ، وأعجزُ شيءٍ عن الصبر على ذلك في الله ، وهذا أعظمُ اللُّؤْم ، ولا يكون صاحبه كريمًا عند الله ، ولا يقومُ مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، ليعلم أهلُ الجَمْع مَنْ أوْلىٰ بالكرم اليوم ، أينَ المتَّقون ؟ »[1] .

* * *

---

(١) عدّة الصابرين صـ ٤٩ .